88

مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة

يناير 2011 - 20 درهما

المناهل

خزانة الدكتور محمد حلي

تاريخ الدخول: 14/04/2011

رقم الخزانة .....

السنة 31 ـ عدد 88 ـ صفر 1432 ـ يناير 2011

أسسها : الحاج محمد أبا حنيني.

تولى إدارتها : محمد الصباغ.
المهدي الدليرو.
محمد أحميدة.

المدير المسؤول : أحمد اليبوري.

هيئة التحرير: عبد الرحيم بنحادة
إبراهيم الخطيب
أحمد الوارث
عبد العزيز اعمار
حسن الصادقي

الإخراج الفني : ادريس برادة

تصفيف وسحب : مطبعة دار المناهل.
الإيداع القانوني : 1974/6
ردمك : 0851-025

المراسلة :
مجلة المناهل : وزارة الثقافة
1، زنقة غاندي ـ الرباط
الهاتف : 67.13.99 (037 212 00)
الفاكس : 67.50.41 (037 212 00)
البريد الإلكتروني:
revuemanahil@minculture.gov.ma

الدراسات والمقالات المنشورة بالمجلة تعبر عن آراء أصحابها
المواد لا ترد لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

المواسم بين الفلكلور والتاريخ في إقليم أزيلال

محمد حقي *

يقال إن "الموسم احتفال على شرف ضريح ولي الدوار أو القبيلة"[1]، ويمكن توسيع التعريف واعتبار الموسم (المعروف كما ينعت في البادية) احتفالا سنويا لجماعة قروية بمناسبة فلاحية أو دينية بحضور قبر ولي أو بدونه. وإذا كانت أرض المغرب ـ كما يقال ـ تنبت بالأولياء فالأمر ينطبق أيضا على المواسم التي ترتبط بهم، إذ تعج بها مناطقه في مختلف أوقات السنة وخاصة في فصلي الربيع والصيف. ولا يشذ إقليم أزيلال عن القاعدة إذ يشهد سنويا عددا كبيرا من المواسم، بل أكثر من ذلك استعادت بعض من تلك التي أهملت وكادت تنسى حياتها بفعل التوجه الاقتصادي والسياسي للبلد. وينطلق اهتمامنا بالموضوع من رغبة قوية في فهم هذه الظاهرة كجزء من التراث الثقافي للمغرب من خلال الوقوف على وجهيها التاريخي والفلكلوري[2]. وسنعمل على جرد أهم المواسم في النطقة وعرض أهم

* أستاذ باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، بني ملال.

المظاهر الاحتفالية التي تعرفها ثم الغوص عميقا للبحث عن أصول مجموعة من السلوكات التي تتضمنها. وبالرغم من طرحنا ورغبتنا الشديدة في السير بعيدا، فإن ضعف المادة الإخبارية وقلة الاهتمام بالموضوع من قبل الباحثين تكبل أيدينا وتجعلنا عاجزين عن تحقيق جزء كبير من طموحاتنا. ومع ذلك فلم نفقد العزيمة وعوضنا بعض النقص بالرواية الشفوية والمقابلات مع أبناء الجهة والأعمال النادرة المنجزة حول الموضوع لنرسم صورة تقريبية عن الظاهرة تساعد على فهمها وتثير اهتمام الباحثين وتحرك هممهم لدراستها. وسنقسم الموضوع إلى نقطتين:

- الموسم في الفلكلور: المظاهر الاحتفالية.
- الموسم في التاريخ: البقايا القديمة في الاحتفالات.

1 ـ الموسم في الفلكلور:

1 ـ 1 ـ المصادر:

بالرغم من كون الموضوع مغريا بمضمونه، فإن الإقبال عليه من قبل الباحثين يكاد ينعدم، بحيث يجد من يقدم على دراسته نفسه في شبه فراغ. فجل المادة حول المواسم ما تزال مجهولة وغير مجموعة، وحتى لائحة أسماء المواسم بالإقليم؛ وهي الجزء الأبسط في العملية، لم تضبط بعد، ونفس الشيء بالنسبة لمظاهر الاحتفالات دون طمع في الحديث عن قراءتها وتأويلها. وفي محاولة للتغلب على المشكل تم اللجوء إلى الرواية الشفوية والمقابلات مع أبناء المنطقة وبعض الأعمال المنجزة وعلى رأسها بعض الأبحاث التي أنجزتها مندوبية وزارة الثقافة ببني ملال التي دأبت؛ خلال عقد التسعينيات من القرن العشرين، على إنجاز استمارات حول المواسم التي تعقد وتنظم، لكن؛ وللأسف، ضاعت هذه الأعمال ولم ندرك منها إلا بحثا حول "موسم سيدي عبد الله بأفورار" واستمارة حول "موسم سيدي إبراهيم الطيبي" بتاكزيرت، وأخبرتنا الموظفة المسؤولة أن من يهتمون بالموضوع؛ طلبة وغيرهم،

يستعيرونها ولا يعيدونها بعد ذلك. ولا أنسى أن أذكر ما قدمه كتاب "قبيلة أيت عتاب" لعيسى العربي من معلومات حول مواسم هذه القبيلة. ويضاف إلى كل هذا بحوث طلبة الإجازة الذين جمعوا أخبارا من الرواية الشفوية حول بعض المواسم وقاموا بزيارات ميدانية مكنتهم من جمع مادة مهمة ومفيدة. وأذكر في الأخير أن مندوبية السياحة بالإقليم نشرت لائحة بأهم المواسم السنوية. وكما يلاحظ فالذي يتوفر من مادة قليل وما جمع منها غيض من فيض مما يبين حجم المسؤولية الملقاة على عاتق المهتمين، وأكثر من هذا فالذي جمع يهم أساسا الدير الجبلي والمناطق القريبة منه بينما ظلت أعماق الإقليم الجبلية مهملة تماما.

1 ـ 2 ـ جدول أهم المواسم بالجهة:

يلاحظ أن الجدول يتضمن خمسة أصناف من المواسم:

- مواسم الربيع
- مواسم الصيف
- مواسم الخريف
- موسم المولد النبوي
- مواسم يهودية

وسنهتم بالأصناف الأربعة الأولى بينما لن نتحدث عن الموسمين اليهوديين اللذين يرد ذكرهما رغبة في الإخبار عن وجودهما واستمرارهما في الانعقاد.

الصنف		الرقم	الاسم	التوقيت	المكان	الإقليم
المواسم الفلاحية	مواسم الربيع	1	سيدي عيسى	الأربعاء 2 من مارس الفلاحي	أيت عتاب أبادو	أزيلال
		2	سيدي يورجا	بداية الربيع	ج.ق.أيت مازيغ	..
		3	سيدي أحمد أوموحا	شهر مارس	ج.ق. تيلوكيت	..
		4	مولاي يعقوب	مارس 24	ج.ق. تباروشت	..
		5	معروف إحنصالن	مارس و1 15 أبريل	ج.ق. أيت محمد	..
		6	إنداغرن	مارس 22	ج.ق. تيموليلت	..
		7	سيدي عبد الرحمن	شهر مارس	ج.ق. أيت وردة	..
		8	أيت أناريال	شهر مارس	ج.ق. تيموليلت	..
		9	سيدي لحسن أوحساين	أول جمعة من أبريل الفلاحي	دوار أيت إغرم بأيت عتاب	..
		10	أغانان	أبريل 26	ج.ق. أيت محمد	..
		11	سيدي وزكان	أبريل الفلاحي	دوارامازير بأيت عتاب	..
		12	مولاي عبد القادر	و19 و20 18 ماي	ج.ق.تيلوكيت	..
	مواسم الصيف	13	العسل	النصف الثاني من يوليوز	ج.ق. تانانت	..
		14	أيت علي	الجمعة1 من غشت	ج.ق. تيفني	..
		15	تزكي	الجمعة 2 من غشت	..	..
		16	أيت بوعيسة	الجمعة 3 من غشت	..	..
		17	سيدي هشام	الجمعة 4 من غشت	..	..
		18	أيت خلوف	غشت	ج.ق. تيفني	..
		19	سيدي بوعلي	غشت	ج.ق.سيدي بولخلف	..
		20	سيدي خلوف	غشت	ج.ق. أواولا	..
		21	سيدي عيسى	الجمعة 4 من غشت	ج.ق.أيت ماجدن	..
		22	سيدي محند أومحند	غشت	ج.ق.واويزغت	..

		23	سيدي علي أوحساين	2 ـ 6 شتنبر	ج.ق. إنركي	..
		24	تاكيوت	شتنبر15	دوار إمسوفة ج.ق. ايت محمد	..
		25	سيدي بولخلف	شهر شتنبر	ج.ق. سيدي بولخلف	..
		26	بوقنطار	الجمعة1 شتنبر	ج.ق. أواولا	..
	مواسم الخريف	27	عيساوة وحماتشة	نهاية شتنبر	مدينة دمنات	..
		28	سيدي عبد الله بن أحمد	النصف1 أكتوبر	ج.ق. أفورار	..
		29	سيدي يحي	النصف2 أكتوبر	ج.ق. تيموليلت	..
المواسم الدينية	مواسم المولد النبوي	30	سيدي علي بن إبراهيم	سابع المولد النبوي	دوارإكرط ج.ق. بني عياط	..
		31	سيدي الصغير المعيار	سابع وعاشر المولد النبوي	ج.ق. بزو	..
		32	سيدي مالك	..	..	..
		33	سيدي حديدو	المولد النبوي	أيت يعزم بأيت عتاب	..
		34	سيدي عيسى بن إدريس	..	أيت عتاب أبادو	..
		35	مولاي بوعنان	؟	أولاد غنام بايت عتاب	..
		36	سيدي جابر نيغوناين	؟	جبل إغوناين	..
	مواسم يهودية	37	هيلولة	14ـ17 يناير	مدينة فم الجمعة	..
		38	دافيد درعة	من 20 إلى 30 ماي	ج.ق. تيديلي فطواكة	..

المواسم في إقليم أزيلال

1 ـ 3 ـ التسمية:

يلاحظ من خلال الجدول أن أسماء المواسم وبنسبة الثلثين هي أسماء أولياء ومتصوفة، بينما يهم الثلث المتبقي أسماء جماعات قروية وبلدان(5 ـ 6 ـ 8 ـ 10 ـ 13 ـ 16 ـ 17 ـ 19 ـ 25 ـ 26 ـ 28 ـ 29). وإذا كان بعض هؤلاء الأولياء معروفا ومشهورا كشخصيات تاريخية مثل: سيدي علي بن إبراهيم وسيدي عيسى بن إدريس، فإن أغلبهم شخصيات محلية ومجهولة، وحتى تضفي الرواية الشفوية نوعا من الواقعية على وجودهم تتذرع بأنهم غرباء دخلوا البلد وماتوا به ثم دفنوا هناك. ويعطي سيدي عبد الله بن أحمد بأفورار(رقم 30) أحسن مثال حيث لا يعرف السكان عنه شيئا وحتى ضريحه لم يبن إلا في الفترة الاستعمارية على يد أحد المعمرين، كما أنه لم يترك حفدة لذلك لا نجد من يدعي الانتساب إليه أو حق الاستفادة مما يقدم لضريحه من هدايا[3]، وكذلك سيدي جابر نيغوناين (39) بجبل إيغوناين الذي لا يتوفر على ضريح. وهذا يبين الطابع الأسطوري لبعض هذه الشخصيات. وعملية ربط هذه الاحتفالات بالأولياء معروفة عند كثير من الشعوب فمثلا أطلق المسيحيون أسماء قديسين على كثير من احتفالات الوثنيين[4]. وفي هذا السلوك استفادة متبادلة بين الطرفين، فالجماعة القروية تحصل على الشرعية الإسلامية لأساطيرها وممارساتها واحتفالاتها كما تحصل على زمان تاريخي مرتبط بحياة الولي مما يضمن الواقعية والتجدد لأساطيرها المحلية[5]، أما بالنسبة للمتصوف ممثل الإسلام فينجح في إضفاء الطابع الإسلامي على الممارسات الوثنية معتقدا أنه احتواها بذلك ومكتفيا بهذا التنازل القليل الذي لا يحمل من الإسلام إلا الاسم كما سنبين أسفله. ولا ندري من سعى أولا إلى هذه التوأمة هل الجماعات أو المتصوفة أم الاثنين معا.

1 ـ 4 ـ المجال:

بمجرد إلقاء نظرة على المواضع التي يحتفل فيها بالمواسم نكتشف بسهولة أنها المناطق الجبلية والدير، وهذه هي المناطق الأقدم تعميرا في الإقليم لتوفرها على عناصر الحياة الضرورية وخاصة الماء والأمن، وهي أكثر من هذا مناطق قروية مكونة من دواوير وقرى. وهذا ليس بالأمر الغريب إذ إن الفلاحين ـ كما يقول أحمد مرسي ـ "أكثر قدرة من غيرهم على أن يحتفظوا لمدة أطول بالعادات والأغاني والحكايات وما إلى ذلك، وأن يتذكروا أكثر من ساكني المدن"[6]. ويمكن بناء على ذلك اعتبار المواسم ملكا لأهل القرى؛ لذلك نسميها أيضا مواسم فلاحية أو زراعية، وكذلك وجود نوع من العلاقة الطردية بين التمدن ووجود الفلكلور وخاصة المواسم.

1 ـ 5 ـ الزمان:

يبين الجدول أن زمان الموسم ينقسم إلى قسمين: زمن قمري يهم أساسا مواسم المولد النبوي، وزمن شمسي يخص المواسم الفلاحية وينقسم بدوره إلى قسمين واحد يتبع التحقيب اليولياني الروماني(Julien) (الفلاحي) وآخر يقوم على التحقيب الغريغوري المسيحي، والفرق بينهما اثنا عشر يوما يتقدم بها الثاني على الأول. ونلاحظ أيضا أن التحقيب الشمسي يهم ثلاثة أرباع السنة والتي توافق فصول الربيع والصيف والخريف وهي فصول النشاط الفلاحي والحياة والإنتاج، لذلك يشار إلى أن هذا التحقيب إنما حل فقط محل تحقيب عرف بالفلاحي كما سنبين أسفله. وحتى بالنسبة لمواسم التحقيب القمري وبناء على مظاهر الاحتفال المتشابهة فيرجح جدا أن تكون أصلا من النوع الأول ثم غير التاريخ لتكييفه مع المناسبة الدينية التي صارت تنسب إليها، وهذه أمور مألوفة في المغرب العربي كما يؤكد دوتي[7].

1 ـ 6 ـ مظاهر الاحتفال:

يصعب علينا في هذا العرض أن نعتمد على كل المواسم لأننا بكل بساطة لا نملك معلومات كافية عنها، لذلك سنعتمد على عينة تخص ثلاثة مواسم: سيدي عيسى بن إدريس (رقم1) بأبادو بأيت عتاب وسيدي علي بن إبراهيم (رقم 32) بإكرط ببني عياط وسيدي عبد الله بن أحمد (30) بأفورار. ولحسن حظنا فهذه العينة التي تجمعت بالصدفة تغطي تقريبا كل أصناف المواسم (الربيع ـ الصيف ـ المولد النبوي)، وبالرغم من أنها تغطي فقط القسم الشمالي من الجهة فلن يمنع ذلك اقترابنا من واقع الاحتفال. وتضم الاحتفالات العناصر التالية:

1 ـ 6 ـ 1 ـ زيارة الضريح:

تعتبر زيارة ضريح الولي عنصرا أساسيا عند الساكنة، لذلك تتم وفق طقوس تكاد تتشابه عبر المغرب من تقبيل ودعاء ولمس وصلاة وطواف وتقديم الهبات والهدايا، ويضاف إليها تجمع حفظة القرآن داخل الضريح وتلاوته بشكل جماعي مع إنشاد الأمداح النبوية والدعاء للجماعة[8].

1 ـ 6 ـ 2 ـ تقديم القربان أو الذبيحة:

القربان يكون في العادة عجلا كبيرا[9]، وتقدمه القبائل المجاورة بمساهمة الساكنة في ثمنه أو يتم الطواف على أهل السوق لجمع التبرعات لشرائه.

1 ـ 6 ـ 3 ـ حفلات الغناء والرقص:

تشارك في إقامة الموسم فرق شعبية للرقص والغناء تتشكل بالأساس من أبناء الجماعات المنظمة. وتضم أفرادا من كل الأعمار ومن الجنسين بل أكثر من هذا

يفتح المجال للزوار للمشاركة متى هزهم الشوق والهوى. ومن الفرق التي تؤثث مجال المواسم فرق الطبل والغيطة وأحيدوس وإمديازن والشيخات[10].

1ـ6ـ4ـ الفروسية:

تحضر المواسم فرق الفرسان التي تمثل القبائل المشاركة فيه، ويزداد عددها كلما ازدادت شهرة الموسم[11]. ويلاحظ أن الاهتمام بالفروسية والولع بها خاص بالقبائل العربية، لذلك نعتقد ونرجح أن يكون حضور هذا النشاط مرتبطا باستقرارها في المنطقة واندماجها مع سكانها الأصليين، وهذا يظهر خاصية أخرى للموسم وهي التجدد والتطعيم بعناصر جديدة. ونرجح أيضا أن يكون حضور الفروسية في المواسم قد توسع في الفترة الاستعمارية بعدما فقد الفارس دوره الحربي وصار عنصرا للزينة تؤثث به المناسبات، وما يجعلنا نعتقد ذلك هو الشهادة التي تركها لنا شارل دو فوكو والتي تبين شبه غياب للخيول في المنطقة عدا عند أيت بوزيد الذين يستغلون السوق الأسبوعي يوم الأحد للتسابق والتدرب على الفروسية[12].

1ـ6ـ5ـ الضيافة:

اعتادت القبائل أن تستضيف زوارها طيلة أيام الموسم، حيث أن أيت بوزيد مثلا يحضرون الخبز إلى ضريح سيدي عيسى بن إدريس في اليوم الأول من الموسم، في حين يعد أيت يعزم الكسكس من الشعير (التشيشة) يوم الجمعة[13]. هذا بالإضافة إلى استضافة أفراد القبيلة للزوار في بيوتهم لتناول الوجبات والإقامة.

1ـ6ـ6ـ الاستسقاء:

تستغل الجماعات المنظمة للمواسم المناسبة للاستسقاء[14]. ويظهر أن

الظاهرة عامة وواسعة الانتشار في المغرب إذ إن محمد الكنوني المذكوري؛ في إطار انتقاده للمواسم وما يجري فيها، توقف عند هذه القضية ورفضها واعتبرها مجانبة للممارسة الشرعية لصلاة الاستسقاء[15].

1 ـ 6 ـ 7 ـ التجارة

لم تكن المواسم تقليديا تعرف تبادلا تجاريا عدا بيع بعض المواد التي تدخل في طقوس زيارة الولي، أو تحمل شحنة بركة ينقلها الزائر إلى أسرته ومن خلفهم في قريته ولم تتح لهم فرصة الزيارة. لكنها؛ ومن خلال المعاينة، تحولت وبفعل الوظائف الجديدة التي صارت تقوم بها (مساهمة في تنمية الجماعات) إلى أسواق سنوية تختلف أهميتها حسب أهمية الموسم ومكانة المنطقة الاقتصادية ومدى انفتاحها على الخارج. وهكذا نجد كل أصناف البضائع من مواد غذائية(مصنعة وفلاحية) وتجهيز منزلي (أواني وأفرشة)، وألبسة، وألعاب، ومواد الزينة (عطور وحلي)، وأدوات فلاحية من كل الأصناف، وخدمات متنوعة مشروعة وحتى غير المشروعة (مقاهي ـ سرك ـ ألعاب الحظ ـ حلاقة...). وهذا يجعل من الموسم موردا اقتصاديا مهما للجماعة يساهم في تنميتها، مما شجع كثيرا منها على إحياء مواسم أهملت وكادت تنسى (مثلا أعيد الاحتفال بموسم تيلوكيت في أيت عباس منذ ثلاث سنوات فقط).

بعد هذا الاستعراض السريع لمظاهر الاحتفال يتبين مدى التداخل والاختلاط العجيب بين سلوكات وتصرفات من عصور مختلفة وثقافات متعددة، كما يظهر أن العنصر الإسلامي فيها؛ وحتى في المولد، ضعيف ولا يتجاوز تلاوة آيات قرآنية وأمداح نبوية، وما تبقى فهو من صميم الثقافة المحلية. وقد نستنتج من هذا فشل المتصوفة في احتواء الثقافة الوثنية وتحولهم إلى ضحايا لها وسقوطهم في حبالها، إذ استغلتهم لضمان شرعيتها واستمرارها، ولعل هذا ما يبرر الحملات الشعواء التي

يشنها علماء السنة على المواسم والتي اتخذت طابعا رسميا مع السلطان مولاي سليمان الذي أصدر مرسومه المشهور وأيده في ذلك جماعة من العلماء مثل أحمد الناصري وعبد السلام بن محمد السرغيني ومحمد كنوني المذكوري[16].

1 ـ المواسم في التاريخ: البقايا القديمة.

ينصب الاهتمام في هذه النقطة على البحث عن بعض البقايا التاريخية القديمة التي احتفظت بها المواسم من فترات بعيدة تعود إلى ما قبل الإسلام.

2 ـ 1 ـ التحقيب:

كما سبقت الإشارة أعلاه فمواعيد المواسم تحدد وفقا للتحقيب الشمسي بصنفيه اليولياني والغريغوري، وحتى بالنسبة للمولد النبوي فيراودنا الشك بأنه كان في الأصل موسما فلاحيا ثم عدل تاريخه ليوافق المناسبة الدينية، على الأقل بالنسبة لبعض المواسم. ونلاحظ أن الاحتفالات تتم خلال شهور الربيع والصيف والخريف وهي فصول النشاط الفلاحي الأساسية، وهو ما يرى فيه كثيرون دليلا على تحقيب قديم مبني على الأنشطة الفلاحية نسي وفقدت معالمه ما عدا الاسم الذي يطلق على التحقيب اليولياني، وحصل اعتماد التحقيبين السابقين لتسهيل عمليات الحساب. وقد عرف هذا التحقيب عند شعوب متوسطية مثل الكنعانيين مزاعين ورعاة الذين يخلدون بداية الربيع باحتفالات انتقلت فيما بعد إلى اليهودية والمسيحية[17]. وفي ورغلة ببلاد الزاب بالجزائر يعتمد السكان تحقيبا مرتبطا بالأرض وخصوبتها وتنظيم الأنشطة الفلاحية، ويسمى التحقيب البربري، ويقوم على تقسيم السنة إلى قسمين: قسم ميت يوافق فصل الشتاء (**تاگرست**)، وقسم حي يضم فصول الربيع (فترة الشعير/ تومزين/ أومندي) وتخلد بدايته بحفلة في الأربعاء الذي يلي الاعتدال الربيعي[18] ونهايته بحفلة تلغنجة (طواف الفتيات

بدمية وجمع هبات من السكان)، والصيف (فترة السواقي/تارغوين) وتخلد بحفلتي رش الماء المتبادل والعنصرة، وفصل الخريف (فترة التمر/ تييني) الأقصر إذ لا يغطي أكثر من شهر أو شهر ونصف وهو الأكثر تقديسا[19]. ألا يعطي هذا التحقيب صورة عما يحدث في إقليمنا؟ وإذا لاحظنا موعد موسم سيدي عيسى بن إدريس بأيت عتاب(بين 20 و27 مارس الغريغوري) نجد أنه يوافق الاحتفال بدخول الربيع في ورغلة. وهذا يجعلنا نرجح أن يكون التحقيب المعتمد في تحديد مواعيد المواسم تحقيبا فلاحيا قديما فرغ بفعل الزمان في التحقيب الشمسي بصنفيه اليولياني والغريغوري سابقا بذلك العهد الإسلامي.

2ـ2ـ الذبيحة:

في كل مواسم العينة المعتمدة كنماذج لدراسة مظاهر الاحتفال يتم تقديم ثور قربانا، ويعامل بطريقة خاصة قبل أن يذبح على الضريح. وسنعمل على استعراض مظاهر إعداد الذبيحة في ثلاثة مواسم قبل التعليق.

في موسم سيدي علي بن إبراهيم تقدم ثلاث ذبائح يسمونها النخيرة ويعتبرونها بمثابة عقيقة للرسول (صلعم)، ويضم ثلاثة ثيران ضخمة لأولاد موسى وأولاد حسان وأهل الزاوية. ويتم الذبح وفق طقوس مضبوطة، إذ ينطلقون بالثور من المصلى، ويطاف به حول الضريح، بينما ترتفع أصوات الرجال بالصلاة على النبي والنساء بالزغاريد، ثم يعودون به إلى نقطة الانطلاق، وتتكرر العملية ثلاث مرات وبالنسبة لكل ثور قبل أن يذبح. وتقول الرواية الشفوية إن الذبائح كانت فيما مضى أكثر وأهمها ناقة أهل الشاوية[20].

وفي موسم سيدي عبد الله بن أحمد يتم شراء ثور كبير من طرف السكان، ويقاد من وسط مدينة أفورار في موكب كبير إلى باب الضريح؛ بينما يتهافت الجمهور على رؤيته ولمسه، ويطاف به ثلاث مرات حول الضريح، ويرش بماء

الورد، ثم يذبح تحت التهليل. ويترك ليقوم بعد النحر ويخترق صفوف الجمهور محدثا بعض الحوادث[21]. ويقسم اللحم على المساجد[22].

في تاكزيرت يتم شراء ثور ويذبح في طقوس دينية، ثم يتسابق الجذابون لشرب دمه[23].

يلاحظ من هذه الطقوس أنها أقرب إلى السحر منها إلى شيء شرعي، وربما يكشف هذا عن أصولها الوثنية القديمة. فذبح الثور ممارسة معروفة عند كثير من الشعوب كطقس فلاحي[24]، ووجدت عند البربر حفلة تسمى بحفلة الثور[25]، كما كان رحل الكنعانيين يذبحون خروفا تعبيرا عن عودة الحياة انطلاقا من الموت[26].

1 ـ 3 ـ حفلة الخطوبة:

يقام في مواسم سيدي عيسى بن إدريس (39) وسيدي حديدو(38) وسيدي بوعنان (40)؛ وكلها في أيت عتاب، احتفال خاص بالفتيات، حيث تجتمع البالغات منهن في أضرحة الأولياء الثلاثة رفقة جداتهن أو أمهاتهن أو إحدى النساء المسنات من الأقارب أو الجيران، ويسمح للشبان الراغبين في الزواج بالقدوم لرؤيتهن. وإذا وقع اختيار أحدهم على واحدة منهن يتصل بالمرأة المسنة ويسألها عنها، فإن أعجبه ما سمع يعرفها بنفسه ويشتري لها بعض الهدايا من تمر وحناء ومأكولات أخرى، ثم يتقدم بعد ذلك إلى ولي أمرها لخطبتها رسميا[27]. فهذا موسم خطوبة يقام بمناسبة المولد النبوي يشبه ما يقع في بعض المناطق مثل الموسم المشهور بأيت حديدو شرق الأطلس الكبير(لاحظ التقارب بين أيت حديدو وسيدي حديدو!). ولا يقتصر الأمر على شمال إفريقيا بل وجد التقليد أيضا في منطقة التراس شمال اليونان وفي بلغاريا، حيث تجتمع الفتيات اللاتي بلغن سن النضج الجنسي للرقص كمسلك للزواج، ويتنقلن بين بيوت القرية ويجمعن الهدايا، وفي النهاية يتجهن

إلى ضفة النهر ويضعن تيجانهن فوق الماء وحسب سرعة جرف التيار للتاج يتحدد ترتيب زواج الفتيات[28] . وكما يظهر فهذا تقليد فلاحي وثني عالمي الطابع أو على الأقل متوسطي.

1 ـ 4 ـ الرقص:

يشكل الرقص كما رأينا أعلاه عنصرا مهما في الاحتفالات، وسجلنا تلك المشاركة الجماعية لكل أبناء القبيلة بمختلف الأعمار ومن كلا الجنسين، بل وفتح الباب لكل الزوار الذين يجدون في أنفسهم القدرة والرغبة للانخراط فيه، حيث تبدأ الدائرة صغيرة ثم تتوسع باستمرار إلى أن تتضخم. ويرى بعض الباحثين في الرقص طقسا يثبت بالحركة والإيقاع العلاقة بالزمان الدائري، لذلك تحرص الشعوب على تعليم الشباب فن الرقص ويفعل الأكثر شبابا ما يفعله الأكثر شيخوخة للدخول رويدا رويدا في زمان الكهول[29]. فالرقص بذلك وسيلة للاندماج الاجتماعي عند الجماعات القروية.

1 ـ 5 ـ تقديس أوثان:

لن نتحدث عن عقيدة الأولياء وما تحتويه من تقرب للأضرحة وتمسح بها باستعمال وسائل عديدة ومتنوعة، ولكننا سنتقتصر على بعض الممارسات التي تحمل طابعا وثنيا خالصا.

لا يتوفر سيدي جابر نيغوناين على ضريح، بل فقط حجر كبير يعتقد أنها نتيجة مسخ راع وأغنامه لأنه طرد ناقة أحد الأنبياء ومنعها من وضع حملها في ذلك المكان[30]، وإلى جوارها أحجار أخرى أصغر منها. ويغلف السكان الحجر الأم بمجموعة من الخيوط ويطوفون بها ويقبلونها، ويمرون عبر واحدة يخترقها ثقب فمن كان صالحا مر بسلام ومن كان فاسدا سجن في الثقب إلى أجل غير مسمى[31].

أليست هذه عبادة الصخور الوثنية؟ واضح بجلاء بعدها الوثني وكونها من المخلفات المقاومة التي لم ينجح المصلحون في تعديلها.

أظهرت العناصر المدروسة في هذا الجزء أن مواسم الجهة تحتفظ بكثير من عناصر التاريخ الموغلة في القدم، حيث تعود إلى الفترة ما قبل إسلامية وتعكس جزءا من تراث الجماعات القبلية البربرية/الأمازيغية القديم جدا.

خاتمة:

يعج إقليم أزيلال بعدد هائل من المواسم بصنفيها الفلاحي والديني، وقد نجحت عبر تطورها التاريخي في التجدد والاغتناء بعناصر جديدة ضمنت لها الحياة والاستمرار في ظل المتغيرات التاريخية الجديدة وخاصة انتشار الإسلام، وكان للجماعات القروية المحافظة أكبر الأثر في ذلك. ومن خلال دراسة مظاهرها وكذلك البقايا القديمة التي تخفيها اتضح أنها قديمة وعريقة تعود إلى فترات تاريخية مجهولة تتصل أساسا باستقرار الإنسان في هذه البلاد، ولكنها كانت تتجدد باستمرار وتغتني بعناصر دخيلة عبر مسارها التاريخي. ولم تنجح محاولات رجالات الإسلام وخاصة المتصوفة في احتوائها إلا اسميا في معظم الأحيان، لأنها هي التي احتوتهم بإعطاء الشرعية لمختلف الممارسات التي تعرفها ولم تتنازل إلا في أشياء قليلة جدا، ولذلك ظلت دائما محل انتقاد من قبل علماء الإسلام.

❐ ❐ ❐

هوامش

1 ـ DOUTTE, *Merrakech*, Paris, 1905, p.264

2 ـ أدخل مصطلح فلكلور عام 1846 على يد الإنجليزي وليام تومس ويتكون من الكلمتين: folk التي تعني شعب وكلمة lore التي تعني معرفة أو حكمة، ومجموعهما يعني معرفة أو حكمة الشعب. والمصطلح يعني الموضوع والعلم الذي يدرسه في نفس الوقت. وقد قام أحمد مرسي بوضع تعريف حاول أن يجمع فيه كل اقتراحات التعاريف المتوفرة، وجاء تعريفه كما يلي: الفلكلور هو "الفنون والمعتقدات وأنماط السلوك الجمعية التي يعبر بها الشعب عن نفسه، سواء باستخدام الكلمة أو الحركة أو الإشارة أو الإيقاع أو الخط أو اللون أو تشكيل المادة أو آلة بسيطة" ويضم الأساطير والحكايات الشعبية والنكات والأمثال والألغاز والترانيم والتعاويذ واللعنات وأساليب التحية والوداع والقسم والصيغ السحرية والتلاعب بالألفاظ والعادات الشعبية والرقص الشعبي والدراما الشعبية والتمثيل الإيمائي والفن الشعبي والطب الشعبي والمعتقدات الشعبية والموسيقى الشعبية وآلاتها والأغاني الشعبية والشعر الشعبي والألعاب الاحتفالات ...، ص.107 ـ 108، وقد تستعمل الكلمة بشكل قدحي للدلالة على الفنون الشعبية، للتوسع انظر **"مقدمة في الفلكلور"** دار الثقافة، القاهرة، 1981 وأيضا " folklore" in ency. Universelle, t. 9, 1990, pp. (601 ـ 608) & " folk arts " ency. Britanica, t. 19, 1995, pp. (306 ـ 338).

3 ـ بدوي إبراهيم، **موسم سيدي عبد الله بن أحمد بأفورار**، مندوبية وزارة الثقافة ببني ملال، 1996(مرقون)، ص.3.

4 ـ عيد الفصح الذي يحتفل به اليهود كذكرى لخروجهم من مصر والنصارى كذكرى لبعث المسيح بعد موته في منتصف أبريل ليس أكثر من احتفال وثني فلاحي بمناسبة فصل الربيع. انظر Mercea Eliade, *Aspect du mythe*, ed. Gallimard, 1963, pp. 209.

5 ـ HAUBERT H., Mélanges d'histoire des religions : *Étude sommaire de la représentation du temps dans la religion et la magie*, École pratique des Hautes Études, section des sciences religieuses. Paris, 1905, pp. (1 ـ 39) p. 8

6 ـ أحمد مرسي، الرجع السابق، ص.104 و Johan Gottfried Von Helder, Folklore, WIKIPEDIA encyclopédie libre.

7 ـ DOUTE, op. cit. p.382.

8 ـ **قبيلة أيت عتاب**، ص.217 و**موسم سيدي عبد الله**، ص.5.

9 ـ بلعيدي والربات، **المواسم بجهة تادلة ـ أزيلال**، كلية الآداب ببني ملال، 2005 ـ 2006،

ص.38 (بحث إجازة مرقون) وموسم سيدي عبد الله، ص.6.

10 ـ قبيلة أيت عتاب، ص.215، وموسم سيدي عبد الله، ص.9.

11 ـ نفسه، ص.21 وموسم سيدي عبد الله، ص.8.

12 ـ دو فوكو شارل، **التعرف على المغرب**، ترجمة المختار بالعربي، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1999، ج1، ص.94 و97 و100.

13 ـ قبيلة أيت عتاب، ص.216.

14 ـ نفسه، ص.218 وموسم سيدي عبد الله، ص.7.

15 ـ دحو مصطفى، "علماء المغرب ومقاومتهم للبدع"، **جريدة السبيل**، 2007، ص.122.

16 ـ نفسه، ص.121 ـ 124.

17 ـ VILLARS Gay, *histoire de la fête* , Nouvel Essor, n. 221, décembre 2006 et Mercea, op. cit. p.209.

18 ـ يبدو أن هذا اليوم له قدسية كبيرة في المنطقة حيث نجد أن يوم الأربعاء في موسم مولاي بوعزة يعرف إقامة الحضرة وتقديم الهدية طيلة أيام الموسم التي تمتد من منتصف مارس إلى منتصف أبريل. أنظر الملف الأسبوعي حول موسم مولاي بوعزة، جريدة المساء، عدد 795، السبت والأحد 11 و 12 أبريل 2009، ص.(17 ـ 18)، ص.17.

19 ـ DELHEURE J ., Calendrier agraire de OURGLA, Encyc. Berbère, EDISUD, la Calade, 1992, t.11, pp. 1717 ـ 1718.

20 ـ **المواسم في جهة تادلة ـ أزيلال**، ص.38.

21 ـ في موسم مولاي بوعزة يعتقد أن وقوف القربان بعد الذبح يحيل على إحياء الولي للموتى، التقرير السابق، ص.19.

22 ـ بدوي، المرجع السابق، ص.7.

23 ـ استمارة مندوبية وزارة الثقافة ببني ملال عن موسم سيدي إبراهيم الطيبي، ص.2. يبدو أن عادة شرب الدم وأكل اللحوم نيئة منتشرة في الأطلس المتوسط، وتمارس بقوة في موسم مولاي بوعزة حيث تقطع الجديان القرابين بالأيدي وتؤكل نيئة، التقرير السابق، ص.18.

24 ـ LEVY, Sacrifice du buffle, *Bulletin de l'institut indochinois pour l'étude de l'homme*, t.6, 1943, pp. 301 ـ 331

25 ـ *Fêtes traditionnelles*, p.2, in Christian Mando, Les origines de l'Arbre de Mai, sur net.

26 ـ VILLARS, op. cit. p.

27 ـ عيسى العربي، المرجع السابق، ص.219 و233.

28 ـ ينبع هذا الاحتفال من أسطورة فتاة تدعى روجا تزوجت بتنين طمعا في الثروة والجاه، ثم ماتت خجلا من أن تراها صاحباتها بذيل تنين، فلما وجدتها صاحباتها دفنتها، لذلك صرن يجتمعن سنويا عند قبرها للرقص. وتتخذ رقصتهن شكل ذيل التنينة.

29 ـ DES ROCHES D., *La fête et l'homme*. Réflexion sur le temps, le folklore et la tration, www.vigile.net.

30 ـ للرعاة مكانة متميزة في حوض البحر المتوسط، ولاكتشاف ذلك انظر Grimal, P., *Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine*, PUF, Paris, 1994.

31 ـ **المواسم في جهة تادلة ـ أزيلال**، ص.30. هذه العادة موجودة في المنطقة بكثرة حيث نجدها في إيمي نفري بدمنات وكذلك في موسم مولاي بوعزة، انظر التقرير السابق، ص. 19. وتشير هذه العملية عند الجماعات الوثنية في مناطق الحوض المتوسطي والشرق الأقصى إلى إعادة الولادة من الأرض الأم، حيث يمثل الثقب مخرج الرحم، *Mercea*, op. cit.p.103 -104.

❐ ❐ ❐